سورة الرحمن

مدنية وآياتها ٧٨ [نزلت بعد الرعد]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾

عدّد الله عز وعلا آلاءه، فأراد أن يقدّم أوّل شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه[1] وأصناف نعمائه، وهي نعمة الدين، فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها: وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه، لأنه أعظم وحي الله رتبة، وأعلاه منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثرًا، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها، وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه: ليعلم أنه إنما خلقه للدين، وليحيط علمًا بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله، وكأن الغرض في إنشائه كان مقدّمًا عليه وسابقًا له، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح[2] المعرب عما

---

(١) قال محمود: «عدد الله عز وجل آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدمًا في ضروب آلائه... إلخ» قال أحمد: نفير من هذا الكلام قوله: أن خلق الإنسان كان الغرض فيه. أي المراد منه: أن يحيط علمًا بالكتب والوحي، ويعوض بأن المراد بخلقه: أن يدعي إلى ذلك، لا أن يقع ذلك منه، فهذا هو المراد العام، ثم منهم من أراد الله منه أن يحيط علمًا بالدين فيسر له ذلك، ومنهم من أراد ضلالته وجهالته فبعد عنه ولم يوفق، والله الموفق للصواب.

(٢) قال محمود: «ثم ذكر ما تميز به عن سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب... إلخ» قال أحمد: وإنما خص الجمل الأول بذكرها تبكيتًا للإنسان لأجل التصاق معانيها به، ألا ترى أنه مذكور فيها نطقًا وإضمارًا وحذفًا مدلولاً عليه في الكلام، فهو منطوق به مظهرًا في قوله: (خلق الإنسان) ومضمرًا في قوله: (علمه البيان) ومدلولاً على حذفه في قوله: (علم القرآن) فإنه المفعول الثاني، أما قوله: (الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان) فليس للإنسان فيهما ذكر ألبتة، =

في الضمير، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١﴾ مبتدأ، وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة، وإخلاؤها من العاطف نمجيئها على نمط التعديد، كما تقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزّك بعد ذل، كثرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد، فما تنكر من إحسانه؟ ﴿بِحُسۡبَانٖ﴾ بحساب معلوم وتقدير سويّ يجريان في بروجهما ومنازلهما. وفي ذلك منافع للناس عظيمة: منها علم السنين والحساب ﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾ والنبات الذي لا ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ الذي له ساق. وسجودهما: انقيادهما لله فيما خلقا له، وأنهما لا يمتنعان، تشبيهًا بالساجد من المكلفين في انقياده. فإن قلت: كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمٰن؟ قلت: استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي، لما علم أن الحسبان حسبانه، والسجود له لا لغيره، كأنه قيل: الشمس والقمر بحسبانه، والنجم والشجر يسجدان له، فإن قلت: كيف أخلّ بالعاطف في الجمل الأول، ثم جيء به بعد؟ قلت: بَكَّت بتلك الجمل الأول واردة على سنن التمديد، ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين أنكروا الرحمٰن وآلاءه، كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدّمته، ثم ردّ الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف. فإن قلت: أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف؟ قلت: إنّ الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل، وأنّ السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين، وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله، فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝١﴾ جعله علامة وآية. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: الإنسان آدم. وعنه أيضًا: محمد رسول الله ﷺ. وعن مجاهد النجم: نجوم السماء ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ خلقها مرفوعة مسموكة، حيث جعلها منشأ أحكامه، ومصدر قضاياه، ومتنزل أوامره ونواهيه، ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه؛ ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ وفي قراءة عبد الله «وخفض الميزان». وأراد به كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس، أي: خلقه موضوعًا مخفوضًا على الأرض: حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ﴾ لئلا تطغوا. أو هي أن المفسرة. وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن، على إرادة القول/ ٢/ ٢٠٥أ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ وقوّموا وزنكم بالعدل ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ ولا تنقصوه: أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة، وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان. وكرّر لفظ

= وجل المقصود من سياقهما التنبيه على عظمة الله تعالى.

الميزان: تشديدًا للتوصية به، وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه. وقرئ: «والسماء» بالرفع. «ولا تخسروا» بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها. يقال: خسر الميزان يخسره ويخسره، وأمّا الفتح فعلى أن الأصل: ولا تخسروا في الميزان، فحذف الجار وأوصل الفعل. و﴿وَضَعَهَا﴾ خفضها مدحوّة على الماء ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق، وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة. وعن الحسن: الإنس والجنّ، فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها ﴿فَٰكِهَةٌ﴾ ضروب مما يتفكه به، و﴿ٱلْأَكْمَامِ﴾ كل ما يكّم أي يغطي من ليفة وسعفة وكفرّاة[1] وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه. وقيل الأكمام أوعية التمر: الواحد كم، بكسر الكاف و﴿ٱلْعَصْفِ﴾ ورق الزرع، وقيل التبن ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ الرزق وهو اللب: أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل، وما يتغذى به وهو الحب. وقرئ: «والريحان»، بالكسر. ومعناه: والحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام، والريحان الذي هو مطعم الناس. وبالضم على: وذو الريحان، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقيل: معناه وفيها الريحان الذي يشم، وفي مصاحف أهل الشأم: «والحب ذو العصف والريحان» أي: وخلق الحب والريحان: أو وأخص الحب والريحان[2]. ويجوز أن يراد: وذا الريحان، فيحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه، والخطاب في ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ للثقلين بدلالة الأنام عليهما. وقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمٰن: ٣١].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾

الصلصال: الطين اليابس له صلصلة. والفخار: الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف. فإن قلت: قد اختلف التنزيل في هذا، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦ ـ ٢٨ ـ ٣٣]، ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١] ﴿مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]. قلت: هو متفق في المعنى، ومفيد أنه خلقه من تراب: جعله طينًا، ثم حمأ مسنون، ثم صلصالا. و﴿ٱلْجَآنَّ﴾ أبو الجن. وقيل: هو إبليس. والمارج: اللهب الصافي الذي لا دخان فيه. وقيل: المختلط بسواد النار، من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط. فإن قلت: فما معنى

---

(١) قوله: «وسعفة وكفراة» الذي في الصحاح «الكفرى بلا تاء، وأنها وعاء الطلع اهـ؛ فلعل عبارة المفسر من ليفة وسعفة وكفراة بإضافة كل إلى ضمير النخل، كما سيأتي في ثمره وجماره وجذوعه. والناسخ توهم أنها هاء للتأنيث فنقطها فوق. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: وفيه نظر، لأنه لم يدخل في مسمى الفاكهة، والنخل حتى تخصه من بينهما وإنما أراد إضمار فعل، وهو أخص فليس هو الاختصاص الصناعي. انتهى. الدر المصون.

قوله: ﴿مِن نَّارٍ﴾؟ قلت: هو بيان لمارج، كأنه قيل: من صاف من نار. أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة، كقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ١٤].

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾

قرئ: رب المشرقين ورب المغربين، بالجر بدلاً من (ربكما) وأراد: مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين، لا فصل بين الماءين في مرأى العين ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا يتجاوزان حدّيهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة. قرئ: يُخرَج ويَخْرُج من أُخرج. وخرج. ويُخرِج: أي الله ـ عز وجل ـ «اللؤلؤ والمرجانَ» بالنصب. ونخرج بالنون. و«اللؤلؤ»: الدرّ. والمرجان: هو الخرز الأحمر وهو البسذ. وقيل: اللؤلؤ كبار الدرّ. والمرجان: صغاره. فإن قلت: لم قال: (منهما) وإنما يخرجان من الملح[1]؟ قلت: لما التقيا وصارا كالشيء الواحد، جاز أن يقال: يخرجان منهما، كما يقال يخرجان من البحر، ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه. وتقول: خرجت من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله، بل من دار واحدة من دوره. وقيل: لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب[2].

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ٱلْجَوَارِ﴾ السفن. وقرئ: «الجوار» بحذف الياء ورفع الراء، ونحوه [من الرجز]:

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم قال منهما وإنما يخرجان من الملح... إلخ» قال أحمد: هذا القول الثاني مردود بالمشاهدة، والصواب هو الأول، ومثله (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وإنما أريد إحدى القريتين، هذا هو الصحيح الظاهر، وكما تقول: فلان من أهل ديار مصر، وإنما بلده محلة واحدة منها.

(٢) قال السمين الحلبي: وقال بعضهم: كلام الله أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز أن يسوقها من البحر العذب إلى الملح واتفق أنهم لم يخرجوها إلاّ من الملح. وإذا كان في البر أشياء تخفى على التجار المترددين القاطعين المفاوز فكيف بما في قعر البحر؟ والجواب عن هذا أن الله لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم إلا بما يألفون ويشاهدون. انتهى. الدر المصون.

لَـهَـا ثَـنَـايَـا أَرْبَـعٌ حِـسَـانُ وَأَرْبَـعٌ فَـكُـلُّـهَـا ثَـمَـانُ[1]

و ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ المرفوعات الشُّرّع[2]. وقرئ: بكسر الشين: وهي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهنّ. والأعلام: جمع علم، وهو الجبل الطويل.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿عَلَيْهَا﴾ على الأرض ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاته، والوجه يعبر به عن الجملة والذات[3]، ومساكين مكة يقولون: أين وجه عربيّ كريم ينقذني من الهوان، و﴿ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ صفة الوجه. وقرأ عبد الله: ذي، على: صفة ربك. ومعناه: الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم[4]. أو الذي يقال له: ما أجلك وأكرمك. أو من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده، وهذه الصفة من/ ٢/ ٢٠٥ب عظيم صفات الله؛ ولقد قال رسول الله ﷺ: «ألظوا[5] بياذا الجلال والإكرام» (١٥٣٠) وعنه عليه الصلاة

١٥٣٠ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة هم أنس بن مالك، وأبو هريرة، وربيعة بن عامر وعبدالله بن عمر.
أما حديث أنس بن مالك:
فأخرجه الترمذي (٥/ ٥٤٠) ـ كتاب الدعوات (٤٩) ـ باب (٩٢) ـ (٣٥٢٥) وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٦/ ٤٤٥)(٣٧٣٣)
كلاهما من طريق مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال... فذكر الحديث. =

---

(١) الثنايا: مقدم الأسنان، وظاهر البيت أنها أربع من فوق وأربع من تحت، فكل ثناياها ثمان. وروي: فثغرها ثمان، وهذه الرواية تناسب ما اشتهر من أن الثنايا اثنان من فوق واثنان من تحت فهي أربع، ويليها مثلها رباعيات، ويليها مثلها أنياب، ويليها مثلها ضواحك، وما بقي أضراس. ثم نواجذ. وعامل المنقوص معاملة الصحيح، فرفع ثمان خبرًا للمبتدأ، وصارت الياء المحذوفة نسيًا منسيًا.
ينظر: خزانة الأدب (٧/ ٣٦٥)، وشرح الأشموني (٣/ ٦٢٧)، وشرح التصريح (٢/ ٢٧٤)، ولسان العرب (ثغر) (ثمن) وتاج العروس (ثغر) (ثمن)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٠٧).

(٢) قوله: «والمنشئات المرفوعات الشرع» في الصحاح «الشراع»: شراع السفينة اهـ، فالشرع جمعه، ككتاب وكتب. (ع)

(٣) قال محمود: «الوجه يعبر به عن الذات ومساكين مكة يقولون... إلخ» قال أحمد: المعتزلة ينكرون الصفات الإلهية التي دل عليها العقل، فكيف بالصفات السمعية؛ على أن من الأشعرية من حمل الوجه واليدين والعينين على نحو ما ذكر، ولم ير بيانها صفات سمعية.

(٤) قوله: «عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم» إجلاله عن أفعال الخلق مبني على مذهب المعتزلة: أنه لا يخلق أفعال العباد. ومذهب أهل السنة: أنه هو الخالق لها. (ع)

(٥) قوله: «ألظوا بياذا الجلال» أي: الزموا ذلك. اهـ صحاح. (ع)

والسلام: أنه مرّ برجل وهو يصلي ويقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «قد استجيب

= قلت، ومؤمل بن إسماعيل تكلم فيه البخاري ووثقه جماعة.
فقال فيه البخاري، منكر الحديث وقال أبو حاتم: صدوق شديد في السنة كثير الخطأ ووثقة يحيى ابن معين، وقال أبو عبيد الآجري، سألت أبا داود عن مؤمل بن إسماعيل فعظمه ورفع شأنه إلا أنه يهم في الشيء.
قلت: وقد عد هذا الحديث من أوهامه.
فقال الترمذي على الحديث السابق، حديث غريب وليس بمحفوظ، وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وهذا أصح ومؤمل غلط فيه فقال عن حماد عن حميد عن أنس ولا يتابع فيه.
وأما قول الترمذي «لا يتابع فيه» ففيه نظر.
فقال ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ١٧٠ و١٩٢)، سألت أبي عن حديث رواه مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن حميد عن أنس ورواه روح بن عبادة عن حماد عن ثابت وحميد عن أنس عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «الظوا بذي الجلال والإكرام» قال أبي، هذا خطأ حماد يرويه عن أبان بن أبي عياش عن أنس.
وأخرجه الترمذي أيضًا (٥/ ٥٣٩) (٣٥٢٤) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. . .
ويزيد بن أبان الرقاشي وهو أبو عمرو البصري ضعيف كما في التقريب (٢/ ٣٦١).
وأما حديث أبي هريرة:
فأخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٤٩٩) من طريق رشدين بن سعد ثنا موسى بن حبيب عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا «ألظوا. . . .
وسكت عنه ولم يتعقبه الذهبي.
قلت، وفيه رشدين بن سعد وهو أبو الحجاج المصري ضعيف كما في التقريب (١/ ٢٥١).
وأما حديث ربيعة بن عامر:
أخرجه النسائي في الكبرى (٤/ ٤٠٩) ـ كتاب النعوت: باب «ذو الجلال والإكرام» (٧٧١٦) وفي التفسير (٦/ ٤٧٩) (١١٥٦٣).
وأحمد في مسنده (٤/ ١٧٧) والحاكم في مستدركه (٥/ ٦٤) (٤٥٩٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١/ ٢٨٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٤٩٢) (٤٤٢) كلهم من طريق ابن المبارك أخبرني يحيى بن حسان عن ربيعة بن عامر مرفوعًا.
وقال الحاكم، صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
وأما حديث ابن عمر:
عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٩٦) لابن مردويه في تفسيره.
وقال الحافظ:
أخرجه الترمذي من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيدضعيف، ومن رواية مؤمل عن حماد بن حميد عن أنس مرفوعًا، وقال غيره مخفوضًا، وإنما هو عن حماد عن حميد عن الحسن مرسلاً وهو أصبح، وأخرجه من رواية مؤمل إسحاق وابن أبي شيبة، وبالثاني أبو يعلى وللبزار قال ابن أبي حاتم عن أبيه: أخطأ فيه مؤمل، والصحيح ما رواه أبو سلمة عن حماد عن ثابت، وحميد عن =

لك» (١٥٣١). فإن قلت: ما النعمة في ذلك؟ قلت: أعظم النعمة وهي مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك.

= الحسن مرسلاً، ورواه ابن مردويه من رواية روح بن عبادة عن حماد عن حميد عن أنس موصولاً أيضًا، وهذه متابعة قوية لمؤمل، وفي الباب عن ربيعة بن عامر بن نجاد أخرجه الحاكم، وفيه رشيد بن سعد، وهو ضعيف وعن ابن عمر أخرجه ابن مردويه وإسناده ضعيف. انتهى.

١٥٣١ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٥٤١) ـ كتاب الدعوات (٤٩) ـ باب (٩٤) ـ (٣٥٢٧) والبخاري في الأدب المفرد (ص٢١٣/ ٧٣٢)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١ و٢٣٥) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٥٥) (٩٧).

كلهم من طريق سفيان عن سعيد الجريري عن أبي الورد عن اللجلاج عن معاذ بن جبل قال: مر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ برجل وهو يقول...».

قلت: وسعيد بن إياس الجريري أبو مسعود البصري ثقة إلا أنه اختلط قبل موته ـ ولكن روى عنه سفيان الثوري قبل الاختلاط.

فقال العجلي في ثقاته (ص ١٨١/ ٥٣١) سعيد بن إياس ـ ثقة واختلط بآخِرة روى عنه في الاختلاط، يزيد بن هارون وابن المبارك... وكل ما روى عنه مثل هؤلاء فهو مختلط، إنما الصحيح عنه، حماد بن سلمة وإسماعيل بن علية وعبد الأعلى من أصحهم سماعًا، سمع منه قبل أن يختلط بثمان سنين وسفيان الثوري وشعبة صحيح أ. هـ.

وأما أبو الورد وهو ابن ثمامة بن حزن القشيري، قال ابن أبي حاتم في علله: قال أبو زرعة وأبو الورد لايسمى، وقال ابن سعد في طبقاته (٧/ ٢٢٦) كان معروفًا قليل الحديث وقال الحافظ في التقريب (٢/ ٤٨٦) مقبول.

وقال الترمذي عقب الحديث، حسن.

قلت: ونحن نتوقف في تصحيحه حتى نجد له متابعات وشواهد.

عن ابن عمر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يقل فيه «ويرفع قومًا...».

ومحمد بن عبدالرحمن البيلماني.. قال الحافظ في التقريب (٢/ ١٨٢) (٤٤٢)، ضعيف، وقد اتهمه ابن عدي وابن حبان. أ. هـ.

ووقع في المطبوع من تخريج الكشاف للزيلعي «٣/ ٣٩٨)... محمد بن عبدالرحمن بن السليماني.. والصواب ما أثبتناه والله المستعان.

وأما حديث عبدالله بن منيب الأزدي.

أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٥٩٢) (٣٣٠١٢)، والبزار في مسنده (٢٢٦٦) كلاهما من طريق عمرو بن بكر السكسكي، قال ثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني عن أبيه عبدة بن رباح عن منيب بن عبدالله الأزدي عن أبيه قال: تلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الآية «كل يوم هو في شأن»...

وعمرو بن بكر السَّكْسكي الشامي، متروك كما في التقريب (٢/ ٦٦).

والحديث علقه البخاري على أبي الدرداء موقوفًا (٩/ ٦٠٥) ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة الرحمن ـ وقال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٠٩).

وصله المصنف في «التاريخ» وابن حبان في «الصحيح» وابن ماجه وابن أبي عاصم والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعًا، وأخرجه البيهقي في «الشعب» من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفًا، =

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

كل من أهل السموات والأرض مفتقرون إليه، فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم، وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ أي كل وقت وحين يحدث أمورًا ويجدّد أحوالاً، كما روي: عن رسول الله ﷺ أنه تلاها فقيل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: «من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا، ويرفع قومًا ويضع آخرين» (١٥٣٢) وعن ابن عيينة: الدهر عند الله تعالى يومان، أحدهما: اليوم الذي هو مدّة عمر الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع. والآخر: يوم القيامة، فشأنه فيه الجزاء والحساب. وقيل: نزلت في اليهود حين قالوا: إنّ الله لا يقضي يوم السبت شيئًا. وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله إلى الغد وذهب كئيبًا يفكر فيها، فقال غلام له أسود: يا مولاي، أخبرني ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدي، فأخبره فقال له: أنا أفسرها

= وللمرفوع شاهد آخر عن ابن عمر أخرجه البزار وآخر عن عبدالله بن منيب أخرجه الحسن بن سفيان والبزار وابن جرير والطبراني.

وقال الحافظ:

أخرجه الترمذي، والبخاري في الأدب المفرد، وأحمد، والبزار، والطبراني من طريق أبي الدرداء عن اللجلاج عن معاذ بن جبل فذكره. أ.هـ

١٥٣٢ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة هم أبو الدرداء وابن عمرو وعبدالله بن منيب.

أما حديث أبي الدرداء:

أخرجه ابن ماجه (١/ ٧٣) ـ المقدمة ـ حديث رقم (٢٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة حديث رقم (٣٠١)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٦٤) (٦٨٩) والواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢١)، وابن عساكر في «التاريخ» (٢/ ٢/ ٢ و١٥/ ١٢٦/ ١) كلهم من طريق هشام بن عمار ثنا الوزير بن صبيح، حدثنا يونس بن ميسرة بن حليس عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله «كل يوم هو في شأن». . . قال البوصيري في الزوائد (١/ ٨٨) هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير عن درجة الحفظ والإتقان، قال فيه أبو حاتم: صالح وقال رحيم، ليس بشيء، وقال أبو نعيم، وكان يعد من الأبدال، ربما أخطأ، وذكره ابن حبان في الثقات. . . لكن لم ينفرد به الوزير بن صبيح، فقد رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ثنا عبدالله بن إبان الكوفي ثنا إسحاق ابن سليمان عن معاوية بن يحيى عن يونس بن ميسرة عن أبي ادريس الخولاني عن أبي الدرداء موقوفًا. .

وأما حديث ابن عمر

فأخرجه البزار في مسنده (٢٢٦٧) من طريق محمد بن عبدالرحمن البيلماني عن أبيه.

وقال الحافظ:

أخرجه ابن ماجه وابن حبان والطبراني والبزار وأبو يعلى من حديث أبي الدرداء، وفي الباب عن ابن عمر أخرجه البزار بإسناد ضعيف. وعن عبدالله بن حبيب الأزدي. أخرجه البزار والطبراني وابن أبي حاتم قال البزار: لا أعلم أسند عبدالله بن حبيب إلا هذا الحديث.

للملك فأعلمه، فقال: أيها الملك شأن الله أن يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ، ويشفي سقيمًا ويسقم سليمًا، ويبتلي معافًا ويعافي مبتلىٰ، ويعزّ ذليلًا ويذل عزيزًا ويفقر غنيًا ويغني فقيرًا؛ فقال الأمير: أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال: يا مولاي هذا من شأن الله. وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له: أشكلت على ثلاث آيات، دعوتك لتكشفها لي: قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١] وقد صح أنّ الندم توبة وقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقد صح أنّ القلم قد جفّ بما هو كائن إلى يوم القيامة. وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩] فما بال الأضعاف؟ فقال الحسين: يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الأمّة. ويكون توبة في هذه الأمّة؛ لأنّ الله تعالى خص هذه الأمّة بخصائص لم يشاركهم فيها الأمم، وقيل: إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل، ولكن على حمله، وأما قوله: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) فمعناه: ليس له إلا ما سعى عدلاً، ولي أن أجزيه بواحدة ألفًا فضلًا، وأما قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فإنها شئون يبديها لا شئون يبتدئها، فقام عبد الله وقبل رأسه وسوّغ خراجه.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ مستعار من قول الرجل لمن يتهدده: سأفرغ لك، يريد: سأتجرّد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنك، حتى لا يكون لي شغل سواه، والمراد: التوفر على النكاية فيه والانتقام منه، ويجوز أن يراد: ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها، وتنتهي عند ذلك شئون الخلق التي أرادها بقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغًا لهم على طريق المثل، وقرئ: «سيفرغ لكم»، أي: الله تعالى، «وسأفرغ لكم» و«سنفرغ» بالنون، مفتوحًا مكسورًا وفتح الراء، و«سيفرَغ» بالياء مفتوحًا ومضمومًا مع فتح الراء، وفي قراءة أبيّ «سنفرغ إليكم» بمعنى: سنقصد إليكم، والثقلان: الإنس والجن، سميا بذلك؛ لأنهما ثقلا الأرض.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ كالترجمة لقوله: أيها الثقلان ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي، فافعلوا، ثم قال: لا تقدرون على النفوذ ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ يعني بقوّة وقهر وغلبة، وأنى لكم ذلك، ونحوه: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ

﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢] وروي: أنّ الملائكة عليهم السلام تنزل فتحيط بجميع الخلائق، فإذا رآهم الجن والإنس هربوا، فلا يأتون وجهًا إلا وجدوا الملائكة أحاطت به. قرئ: «شواظ ونحاس»، كلاهما بالضم والكسر؛ والشواظ: اللهب الخالص. والنحاس: الدخان؛ وأنشد [من المتقارب]:

تُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيـــــــطِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسَا[1]

وقيل: الصفر المذاب يصبّ على رءوسهم. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر. وقرئ: «ونحاس»، مرفوعًا عطفًا على شواظ. ومجرورًا عطفًا على نار. وقرئ: «ونحس» جمع نحاس، وهو الدخان، نحو لحاف ولحف. وقرئ: «ونحس» أي: ونقتل بالعذاب. وقرئ: «نرسل عليكم شواظًا من نار ونحاسًا» ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ فلا تمتنعان.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَرْدَةً﴾ حمراء ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ كدهن الزيت، كما قال: «كالمهل» وهو دردي الزيت، وهو جمع دهن. أو اسم ما يدهن به كالحزام والإدام. قال [من الطويل]:

كَـأَنَّـهُـمَـا مَـزَادَتَـا مُـتَـعَـجِّـلٍ فَـرِيَّـانِ لَـمَّـا تُـدْهَـنَـا بِـدِهَـانِ[2] / ٢/ ٢٠٦أ

---

(١) للنابغة الجعدي. والسليط: الشيرج، ولم يجعل: جملة حالية من السراج. والنحاس: الدخان. وشرط مجيء الحال من المضاف إليه موجود؛ لأن الضوء مثل جزئه، ولعله يصف وجه محبوبته التي قال فيها:

إذا مـا الـضـجـيـع ثـنـى عـطـفـهـا. .....

البيت: شبهه بالسراج في الإضاءة، يقيد أن لا يكون فيه دخان؛ لأن ضوء وجهها كذلك. فهو من التشبيه المقيد.

ينظر ديوانه (٨١)، وغريب القرآن لابن قتيبة (٤٣٨)، ومعاني الفراء ٣/ ١٣٧، مجاز القرآن ٢/ ٢٤٥، والاقتضاب ص ٤٠٧، واللسان (سلط)، والتاج (سلط)، ومجمع البيان ٩/ ٣٠٨، وشرح شواهده ص ٤٠٧، والقرطبي ١٧/ ١١٢، والبحر ٨/ ١٨٥، والدر المصون ٦/ ٢٤٣.

(٢) لامرئ القيس. والمزادة: قربة صغيرة يتزود فيها الماء للسفر. والفري ـ وزن فعيل بمعنى مفعول، من فريت الجلد إذا شققته. ولما: حرف جزم ونفي كلم، إلا أنه يختص بتوقع منفيه. ويروى: لما تسلقا، أي: تدهنا، من سلقت الجلد إذا دهنته. والدهان: ما يدهن به، كالإدام ما يؤتدم به: شبه عينيه من كثرة البكاء بقربتي رجل متعجل، وهو من يأتي أهله بالإعجالة: وهي ما يعجله الراعي إلى أهله من اللبن قبل وقت الحلب. ويمكن أن المعنى أنه مستعجل لم يصبر حتى يدبغهما ويدهنهما، فريان: مشقوقتان، أي على حالة سلخهما لم يدهنا بدهن قط. وقيل: معنى التعجل أنه لم يحكم =

وقيل: الدهان الأديم الأحمر. وقرأ عمرو بن عبيد «وردة» بالرفع، بمعنى: فحصلت سماء وردة، وهو من الكلام الذي يسمى التجريد، كقوله [من الكامل]:

فَلَئِنْ بَقِيتُ لأَرْحَلَنْ بِغَزْوَةٍ تَحْوِي الْغَنَائِمَ أَو يَمُوتَ كَرِيمُ[1]

﴿إِنسٌ﴾ بعض من الإنس ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾ أريد به: ولا جن: أي: ولا بعض من الجن، فوضع الجانّ الذي هو أبو الجن موضع الجن، كما يقال: هاشم، ويراد ولده. وإنما وحد ضمير الإنس في قوله: ﴿عَن ذَنۢبِهِۦ﴾ لكونه في معنى البعض. والمعنى: لا يسألون لأنهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون. فإن قلت: هذا خلاف قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢] وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤]. قلت: ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر، قال قتادة: قد كانت مسألة، ثم ختم على أفواه القوم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته، ولكن يسأل سؤال توبيخ. وقرأ

= ربطهما. فهما يذرفان ماء من فميهما لا من ثقوبهما.

ينظر: ديوانه (١٦٧)، واللسان (عجل)، والتاج (عجل)، وشرح شواهده ص ٥٥٩، والدر المصون ٦/ ٢٤٤.

(١) ومعي أسود من حنيفة في الوغى للبيض فوق رءوسهم تسويم
قوم إذا لبسوا الحديد كأنهم في البيض والحلق الدلاص نجوم
فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم

لقتادة بن مسلم الحنفي. والدلاص: اللينة الملساء. واستعار الأسود للشجعان على طريق التصريح، ثم قال: إنهم موسومون في الحرب بالمغافر حال كونها فوق رءسهم. والمراد بالحديد: الدروع والمغافر والحلق الدروع وكانت بيضاء. فشبههم فيها بالنجوم للمعانها. أو كانت سوداء، فشبه وجوههم فيها بالنجوم في السماء، فالجامع مركب حسي، والفاء في قوله: «فلئن بقيت» تدل على أن ما بعدها مسبب عما قبلها من توفر رجاله وشجاعتهم ومنعتهم، أي: والله لئن طال عمري لأرجعن إلى الأعداء بغزوة أخرى تجمع الغنائم ونحوها، فنحو بالنون: فعل مضارع مجزوم في جواب شرط مقدر، أي: إن رجعنا إليهم بغزوة نجمع الغنائم منهم. وأما جواب إن المذكورة فمحذوف، دل عليه جواب القسم. وروي: لأرحلن بغزوة، أي: لأسافرن بغزوة، تحوى بالتاء وزيادة الياء، أي تجمع الغنائم وتحوزها. وإسناد الفعل للغزوة، لأنها سبب الجمع والحيازة. ويجوز أن معناها الكتيبة، مبالغة في غزوها. وروي نحوي بالنون مع الياء، أي: تجمع نحن ونحوز في تلك الغزوة، فالجملة صفة لغزوة. ويجوز أنه استئناف: جواب لسؤال مصدر. وروي: نحو الغنائم بالنصب على الظرفية، أي جهة الغنائم. وأو بمعنى إلا، أي إلا أن يموت كريم يعني نفسه، فهو من باب التجريد، كأنه انتزع من نفسه شخصًا مثله في الشجاعة فأخبر عنه، والكرم هنا الشجاعة؛ لأنه في كل باب يحسبه؛ فليس خاصًا بمقابل البخل. ومعنى الاستثناء راجع إلى معنى الجمع والحيازة، ولا يلزم من اشتراط البقاء في الذهاب اشتراط فيما يوجد عقبه فلا تكرار.
ينظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/ ١٣٨ ـ ١٣٩، والدر المصون ٦/ ٢٤٤.

الحسن وعمرو بن عبيد: ولا جأنّ؛ فرارًا من التقاء الساكنين، وإن كان على حده.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ عن الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة، تارة تأخذ بالنواصي؛ وتارة تأخذ بالأقدام ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ ماء حارّ قد انتهى حرّه ونضجه، أي: يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم. وقيل: إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم. وقيل: إن واديًا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال، فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم؛ ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقًا جديدًا. وقرئ: «يطوّفون» من التطويف. ويطوّفون، أي: يتطوّفون ويطافون. وفي قراءة عبد الله: «هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها. ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب: نجاة الناجي منه برحمته وفضله، وما في الإنذار به من اللطف.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٦] ونحوه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ [إبراهيم: ١٤] ويجوز أن يراد بمقام ربه: أن الله قائم عليه؛ أي: حافظ مهيمن من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌۢ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته. وقيل: هو مقحم كما تقول: أخاف جانب فلان، وفعلت هذا لمكانك. وأنشد [من الوافر]:

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ ... مَقَامَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ[1]

---

(١) قوله: «كالرجل اللعين»: هو شيء ينصب وسط الزرع لطرد الوحوش، كذا في الصحاح. اهـ عليان. قلت: وتقدم شرح هذا الشاهد بهذا الجزء صفحة ٢٠٥ فراجعه إن شئت اهـ مصححه. =

يريد: ونفيت عنه الذنب. فإن قلت: لم قال: ﴿جَنَّتَانِ﴾؟ قلت: الخطاب للثقلين؛ فكأنه قيل: لكل خائفين منكما جنتان: جنة للخائف الإنسي، وجنة للخائف الجني. ويجوز أن يقال: جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي؛ لأن التكليف دائر عليهما وأن يقال: جنة يثاب بها، وأخرى تضم إليها على وجه التفضل، كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] خص الأفنان بالذكر: وهي الغصنة[1] التي تتشعب من فروع الشجرة: لأنها هي التي تورق وتثمر، فمنها تمتد الظلال، ومنها تجتنى الثمار. وقيل: الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. قال [من الطويل]:

وَمِنْ كُلِّ أَفْنَانِ اللَّذَاذَةِ وَالصِّبَا ... لَهَوْتُ بِهِ وَالْعَيْشُ أَخْضَرُ نَاضِرُ[2]

﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ حيث شاءوا في الأعالي والأسافل. وقيل: تجريان من جبل من مسك. وعن الحسن: تجريان بالماء الزلال: إحداهما التسنيم، والأخرى: السلسبيل ﴿زَوْجَانِ﴾ صنفان: قيل: صنف معروف وصنف غريب ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على المدح الخائفين. أو حال منهم، لأنّ من خاف في معنى الجمع ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ من ديباج ثخين، وإذا كانت البطائن من الإستبرق، فما ظنك بالظهائر؟ وقيل: ظهائرها من سندس. وقيل: من نور ﴿دَانٍ﴾ قريب يناله القائم والقاعد والنائم. وقرئ: «وجنى»، بكسر الجيم.

﴿فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾

= وهو للشماخ بن ضرار في ديوانه ص ٣٢١، وجمهرة اللغة ص ٩٤٩، وخزانة الأدب ٤/ ٣٤٧، ٣٤٨، وشرح المفصل ٣/ ١٣، ولسان العرب (لعن)، والمعاني الكبير ١/ ١٩٤، والمنصف ١/ ١٠٩، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٢/ ٥٤٣، والمحتسب ١/ ٣٢٧.

(١) قوله: «وهي الغصنة» جمع غصن، كقرطة جمع قرط. أفاده الصحاح. (ع)
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٨٥).

(٢) الأفنان: جمع فنن، وهو الغصن كثير الورق، فيكون شبه اللذات والصبا: بروضة أو شجرة ذات أفنان على طريق المكنية. وإثبات الأفنان: تخييل. ويجوز أنه جمع فن، أي: نوع وصنف على غير قياس، كصحب وأصحاب. واللذاذات: جمع لذاذة، وهي اللذة. ويروى: اللذاذة بالإفراد. والصبا: الشباب أو هوى النفس. ومن بمعنى بعض على طريقة الزمخشري، أي: وبعض الأفنان لهوت، أي: تمتعت به. والجمهور يجعلون نحو هذا مما حذف فيه الموصوف، كقولهم: منا ظعن ومنا أقام، لتقدم مجرور يدل عليه، فمن كل: خبر مقدم، ولهوت: صفة لمحذوف مبتدأ مؤخر، أي: صنف لهوت به؛ لكن المعنى على الإخبار باللهو، فلا بد من المصير إلى رأي الزمخشري. أو جعل الجار والمجرور صفة للمبتدأ، ولهوت خبرًا وإن لم يتقدم المجرور على الصفة. ويجوز أن «من كل» معمول لمحذوف يفسره المذكور، أي: تمتعت من كل الأفنان لهوت به، والواو للحال، أي: والحال أن العيش أخضر، أي رطب لين ناضر حسن، نشبه العيش بروض يانع. والخضرة تخييل.

كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

﴿فِيهِنَّ﴾ في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى. أو في الجنتين، لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ نساء قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ: لا ينظرن إلى غيرهم/ ٢/ ٢٠٦ب. لم يطمث الإنسيات منهنّ أحد من الإنس، ولا الجنيات أحد من الجن[1] وهذا دليل عى أنّ الجن يطمثون كما يطمث الإنس، وقرئ: «لم يطمثهنّ» بضم الميم. قيل: هنّ في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدّر: أنصع بياضًا. قيل: إنّ الحوراء تلبس سبعين حلة، فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في العمل ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ في الثواب. وعن محمد بن الحنفية: هي مسجلة للبرّ والفاجر. أي: مرسلة، يعني: أنّ كل من أحسن أُحسن إليه، وكل من أساء أسيء إليه.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقرّبين ﴿جَنَّتَانِ﴾ لمن دونهم من أصحاب اليمين ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ قد ادهامّتا من شدّة الخضرة ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ فوّارتان بالماء. والنضخ أكثر من النضح، لأنّ النضح غير معجمة مثل الرش، فإن قلت: لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها؟ قلت: اختصاصًا لهما وبيانًا لفضلهما، كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران، كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] أو لأنّ النخل ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصا للتفكه. ومنه قال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانًا أو رطبًا: لم يحنث، وخالفه صاحباه.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

---

(١) قال محمود: «لم يطمث الإنسية إنسي ولا الجنية جني... إلخ» قال أحمد: يشير إلى الرد على من زعم أن الجن المؤمنين لا ثواب لهم وإنما جزاؤهم ترك العقوبة وجعلهم ترابًا.

﴿خَيْرَاتٌ﴾ خيرّات فخففت، كقوله عليه السلام: «هينون لينون»[1] وأما «خير» الذي هو بمعنى «أخير»، فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات. وقرئ: «خيرات» على الأصل. والمعنى: فاضلات الأخلاق حسان الخلق ﴿مَّقْصُورَاتٌ﴾ قصرن في خدورهنّ. يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدّرة. وقيل: إنّ الخيمة من خيامهنّ درّة مجوّفة ﴿قَبْلَهُمْ﴾ قبل أصحاب الجنتين، دل عليهم ذكر الجنتين ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على الاختصاص. والرفرف: ضرب من البسط. وقيل البسط وقيل الوسائد، وقيل كل ثوب عريض رفرف. ويقال لأطراف البسط وفضول الفسطاط: رفارف. ورفرف السحاب: هيدبه[2] والعبقري: منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنه بلد الجن؛ فينسبون إليه كل شيء عجيب. وقرئ: «رفارف خضر» بضمتين. وعباقري، كمدائني: نسبة إلى عباقري في اسم البلد، وروى أبو حاتم: عباقرى، بفتح القاف ومنع الصرف، وهذا لا وجه لصحته. فإن قلت: كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل: ومن دونهما؟ قلت: مدهامّتان، دون ذواتا أفنان. ونضاختان دون: تجريان. وفاكهة دون، كل فاكهة. وكذلك صفة الحور والمتكأ. وقرئ: «ذو الجلال» صفة، للاسم.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الرحمٰن أدّى شكر ما أنعم الله عليه» (١٥٣٣).

١٥٣٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦)

وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أُبي بن كعب. انتهى.

---

(١) قوله: «هينون لينون» لعله ورد في صفة المؤمنين ومثله قال الشاعر:

هينون لينون أيسارٌ ذوو كرم. (ع)

(٢) قوله: «ورفرف السحاب هيدبه» في الصحاح: هيدب السحاب: ما تهدب منه، إذا أراد الورق أراه كأنه خيوط. (ع)